من شعراء هَجَر المبدعين .. صادق بن موسى السماعيل

هو صادق بن موسى السماعيل أو (دقيانوس) كما أطلق على نفسه ، وكما كان يوقّع تعليقاته ومقالاته وأشعاره في شبكات الإنترنت ، شاعر وكاتب ، من مواليد مدينة الهفوف بالأحساء عام 1394هـ، خرّيج معهد الإدارة العامة تخصص دراسات مالية ، ويعمل موظفًا بالشئون الصحية ، بدأ محاولاته الشعرية في سن مبكرة ، له بصمة خاصة في الشعر الضاحك ، له حضور بارز في منتديات الإنترنت بقصائده وتحقيقاته الطريفة، نشر العديد من قصائده في الصحف وشارك في العديد من الأمسيات الشعرية والمحافل الولائية ، وترجمنا له في (معجم شعراء منتدى الينابيع الهَجرية) الصادر عام 1434هـ ، عضو بالمنتدى منذ عام 1426هـ ، ويرأس اللجنة الإعلامية فيه .

إنه من الرجال الذين صَفَت نفوسهم ، وأراحوا قلوبهم من الغلّ والحسد والنوايا السيئة ، فلا تنطوي حناياه إلا على الخير والمحبة ، ولا يصدر منه إلا الوفاء والإيثار.

أتذكّر أنه خرج شبه غاضبٍ من أول زيارة للمنتدى ، برفقة الأستاذ يحيى العبداللطيف والأستاذ عبدا الهميلي، لأنه ظنّ أن بعض شعراء المنتدى الذين يرونه ويسمعون منه لأول مرة لم يتفاعلوا التفاعل اللائق بما أتحفَنا به تلك الليلة من كتاباته الساخرة عن العسو وعن الطبينة وأشياء أخرى ، والواقع أنهم لشدة إعجابهم واندهاشهم بما سمعوه منه أفرطوا في التفاعل مع هذا النوع من الأدب الحيوي، ورفعوا الكلفة معه من أول لقاء بتعليقاتهم الجريئة وضحكاتهم العالية ، ولكنه سرعان ما تفهّم ذلك الموقف وزال اللبس وَصَفت النفس وعاد إلى المنتدى وهو يتأبط الكثير من تلك الكتابات التي تفرّد بها وأبدع فيها.

هكذا نبسمل مع الأستاذ صادق قبل الشروع في تلاوة ما يتيسر لنا من زبور تجلياته ، إنه يعلمنا هنا كيفية الوضوء لصلاة الشعر وأن ذلك الوضوء لا يتطلب غير شيء من الخشوع والاستسلام فقط ، فلا طهر أنقى بعد الاغتسال ببَرَدِهِ المحموم و لوثته البيضاء

هـــو الــشـعـر لا تـذبـح بـمـديتكَ الـشعرَا

هو السحر لا تبطل (بعصيانك) السحرا

هـــو الـحـيـلـة الأنـــقـى صـــفـاءً ورقّـــةً

هـو الـبَـرَدُ الـمحموم و الـدهشة الكبرى

هـــو الـلـوثـة الـبـيضاء لا طُـهـر بـعـدها

وإن رحـــت تـسـتجدي الـبـراءة والـطهر

ولم أكن أتوقع أن تكون أول صفحة في زبور (دقيانوس) غير سورة الأحساء معشوقة الينابيع والضياء والطيب والنخل الطاعن في التباريح :

أحبك في لحظ المعاني عروسةً

مـكـلـلـةً ورداً مـجـلـلـةً حُـسـنـا

أحـبك تـاريخاً مِن الخِصب والنّـَما

وطـيـناً زكَـاهُ الماءُ ما سئِم العجنا

لأرويـــكِ لـلأجـيال مـــاءً و نـخـلـةً

وكـيف عـليك الـظل منذئذٍ أثنى

ولكنه سرعان ما يلتفت إلى ما آل إليه حالُ تلك الجنان التي كانت تجري من تحتها الأنهار ، ليذرف دمعة عند كل نخلة تقف حائرة تسأل عن الجداول التي اغتالها الظمأ ، وعن الخمائل التي عصفت بها رياح الجفاء و النكران :

أتــدريــن أنـــي واقـــفٌ واهـــنُ الـقـوى

فـــلا واهـــنٌ مـثـلي ولا واقـــفٌ غـيـري

أتــدريـــن أنـــي كـــنـت أحـــلـم أنْ أرى

خـــمـائـلـك الـــخـضـراء تـــهـتـز لـلـطـيـر

تـقـايضتِ فـي بَـخسٍ مـع الـدهر شُـحّـَهُ

فـأبـدل مـنـك الـمـمرعَ الـخصبَ بـالـقفر

فـــيـا حـــبّـة الـرمـل الـتـي قـد تـرمّـلت

بـسُـقم الـنخيل الـشّـُم ذات الـعطا الـثـّر

ألا فـــاطـربـيـنـي بـــالـحـديـث نـــدامـــةً

عن الياسمين الرطْب و السوسن البري

وعـــن صـافـنات الـخيل تـستبق الـمدى

وعـــن أنـهـُـر الـسـلسال طـافحةً تـجري

وهل للشاعر منجى وملجأً غير لغته يلوذ به عندما يكظه الوجد و تخنقه التباريح :

فـــيـــا لـــغـــةً راقـــت وشـــفّـــت حـروفُـهـا

هـبـيني الكلامَ العذب من قبل أنْ أعرى

لـتـنـبـجس الأشـــواقُ أنـــهـــارَ فـتـنـة ٍ

من السوسنات الحمر و القضُبِ الخضرا

فـــأنـــت الـبـدايـات الـقـصـيّة والـــمـدى

وقـبـلـتي الأولـــى و تـسـبيحتي الـعذرا

أنـــا الـهـائم الـمـكدود فـي الـحب قـلبُـهُ

أهـش عـلى الآمـال إنْ عاقها المسرى

فـهـلاّ سـألـتِ الـنـجم عـن سـرّ قُـربه

وعـن لـيلة الإسـرا و مـا لـيلة الإسـرا ؟

وكغيره من شعراء (هَجَر) يختلط عليك الأمر عندما تقرأ غزله وحنينه ، أإلى حبيبةٍ تشح عليه بوصل ؟ أم إلى أمه الأحساء ذات العشرين ربيعاً رغم ولادة الأزل عند قدس أعتابها :

وبـــدأتِـنِـي أزلاً تـــجـاوزَ مـــبـدأَهْ

وخـتـمتِـنِـي بـحـرًا تـنـكّبَ مـرفأَه

لـم يـبقَ مِـن ذكراكِ غيرُ سجائرٍ

وشتاءُ كانونٍ وهذي المدفأة

وقصاصةٌ عبث السكونُ بحرفها

كانت ببيت العنكبوتِ مُخبّأة

أنا بالهوى ثملٌ يُراقص ضحكتي

خالٌ وريقٌ لا يبوح و تأتأة

وزجاجةٌ مجنونة رقراقة

بالحب والوله القديم معبّأة

سأظل أُطلِق للجمال حمائمًا

مادام في عُمْر البنفسج منسأة

وللأعمار التي تتقصّف كالمرايا قبل أن تكتمل صورنا فيها نصيب في (زبور دقيانوس) ، يتفقد أمكنة الراحلين في قلوب عشاقهم و مريديهم ، فيرقرق دموعه هناك حيث محاريب الأسى و معارج النشيج . فوقفة على ضريح فقيد الشباب الدكتور صادق العمران مثلا

هكذا الله للعناقيد شاءَهْ

كَرمةً في الجنان تحكي اصطفاءَهْ

هــكـذا اخــتــاره ُ انـبـثـاقة عــطـرٍ

فـــي وقـــار و خـشـعةٍ و انـحـنـاء َه ْ

هـكذا انـساب في القلوب شفيفا

يـــا لـــذاك الـنـقا و تـلـك الـبـراء َة

وفي غمرة فقدٍ آخر ، يقف الأستاذ صادق مؤبنا (سفير الحسين عليه السلام) و زعيم الحوزة العلمية السيد محمد علي بن السيد هاشم العلي رحمه ا :

رحـلـتم ْ ولـم نـحـفظِ (الـمُـستهل ّ ْ)

ومـــا الـــتـم ّ صـــف ّ ُ الـعـزا و اكـتـمل ْ

ولـــم نـوسـعِ الـصـدرَ لـطـم ًا ولـم

نـخ ُ ـض ْ بـالـقـصـيدة بـحـرَ الـرّ م َ ـل

رحـلـتـم إلـــى ربـــوةٍ قـــد ر َ ب َ ـــت ْ

وضعن الشجى في الحشا ما ارتحل

فـيـا سـيـد ًا فـي بـُـراق الـعـزاء

إلـــى سـدرة الـمُـنتهى قـد وصـل

رأيـــــتُ الـحـسـيـنَ بـــــه كـوكـبـًا

و لـــــلآن فـــي نـــاظـري مـــا أفَـــلْ

ولفلسفة الحياة و الموت و للركض وراء أمنياتٍ لا تجيء يقف شاعرنا برهة :

هانحن نمشي و الطريق طويل

والـلـيـل داجٍ والـسـراة قـلـيـل

ها نحن نستاف المشاعر شعلةً

إنْ ظـل عـن ضـوء الـنجوم دليل

لا سـقف فـي هذا الظلام يظلنا

إلا سـكـونٌ بـــاردٌ و غـلـيـل

ورغم برودة ذلك السكون و مرارة غليله تتفتح بين الفينة والأخرى بيننا بعض المطارحات الاخوانية التي تروّح عن قلوبنا تارة ، و تغسل بعض شجونها تارة أخرى ، منها هذه الأبيات التي أهديتها للأخ صادق عام 1427هـ :

تـرنّـمُ صـادقٌ وشـدَا وأنـشَـدْ

فترجم صادقًا عن حُسْن مقصَدْ

وكـنـتُ عـرفـتُه شـهـمًا حـلـيمًا

كريمًا باسِطًا للنفس واليَدْ

وكنتُ خَبرتُهُ حتى تجلّى

وصدقُ صفاته عندي تأكّدْ

إذا رام البيانَ لهُ تداعى

كيانُ الشعر منظومًا مُنضّدْ

وأسفرتِ المعاني الغُرُّ عمّا

تخبّئُ من لآلئَ أو زبرجدْ

فَصَبّ لنا الكؤوس مشعشعاتٍ

ألذّ مِن اللمى الصافي وأبردْ

فيا مَن تعشق القدحَ المُعَلّى

لقد وفّى لها ما كان أوعدْ

فعُبّ اليوم من خمرٍ حلالٍ

كما تهوَى وصلِّ على محمدْ

بقي الحديث عن وفاء هذا الرجل لمنتدى الينابيع و تفانيه و جهوده في خدمة أهداف المنتدى اختصرته في هذين البيتين اللذين بعثتهما إليه ذات شجن :

بــوركتَ مِــن رجــلٍ يظل وفاؤهُ

بَــردَ الــسرور لــقلبيَ المحزونِ

لــو كــان مــثلك لــي ثلاثة إخوةٍ

لحكمتُ روعةَ رُبْعِها المسكون

هذه نماذج مقتضبة من ديوان الأستاذ صادق الذي ننتظر أن يرى النور قريبا ، أُلفت بها نظر النقاد و عشاق الأدب الرفيع لهذا الشاعر المتواضع إلى حد إنكار الذات والجميل إلى حد أن الينابيع أصبحت كلها في ركب عشاقه و مريديه .